

النكبة في سوريا

من وادي العبودية القائم الذي ندعوه « الأرض » يتصاعد ضخيج هائل
تتصل اطرافه بالسما فترنو نجومها الى الاسفل مدعورة مضطربة ، لانها لم
تسمع بمثله منذ سُقفت الأرض بالسما .

ذلك ضجيج المتتمين الى الانسانية وقد اشتبكوا في عراقك هائل سيذكرد
التاريخ مستمياً اياه « حرباً عبرانية » . والمنخرطون فيه قد انقسموا قسنيين ،
قسم يمارك بعضهم بعضاً ليكون لهم النفوذ والاثرة وقسم آخر يمارك الجوع
والمم واليأس .

من خلال هذه الجلبة تسمع الدهور وقع خطى ملايين من الارجل
الراحلة الى الابدية على طريق الفناء ويتصل باذانها من الارض هتاف الاسى
وانين النكبة ، ونحيب الحيرة ، وصدى اليأس الصامت

هذه بعض نتائج الحرب الضروس التي تذر رحاها الان طاحنة بويلاتها
ما كان في الارض من بشاشة وهناء وامن . ولم تكف الحرب بان تعم
ويلاتها بلاد العناصر المتطاحنة بل تطرقت الى بلاد لم يحرك اهلها ساكناً ،
وابها حكم عليها موقمها الجغرافي ان تعرض جسمها لسهام النكبة وتقاسي من
البوس ما لا قبل لها به ولا طاقة على احتماله . فداستها سنايك الويل فسقطت

الى الحضيض دامية ، مذبذبة ، تستغيث باهل المروءة والانسانية .
 من هذه الاقطار التي ضحيت على مذبح الحرب بلاد البنيك وارمينيا ،
 وقصتها في النكبة مشهورة . ولكن هنالك قطراً ثالثاً يدوي صوت استغاثة
 في آذاننا ، وقد انشب اليوم من مخالفه في جسمه ، واصبح احق البلاد المنكوبة
 بالاسعاف . وهذا القطر البائس هو سوريا .

سوريا - بلاد الانبياء ، مبيط الترائع والاديان - القطر الذي شرفه
 الوحي - البلاد التي كانت تدر لبناً وعسلاً ، وتقيت سواها بما فاض من
 محصولاتها اصبحت الان مبيط الشقاء ومهد الويل ومسرخ المول . فقدنا
 نفشت فيها المجاعة وعمت الناقة وسرى الوباء ومشى موكب الموت يتقدمه
 الخوف ، فاشتد الضيق بالاهلين ونفذ القوت ، فباتوا ينتظرون الملاك في
 منازلهم الخالية بعد ان اقفرت حقولهم ، وسدت طرق الفرج في وجيهم ،
 وانقطعت عنهم سبل المواصلات من الداخل والخارج

﴿ نكبات سوريا التاريخية ﴾

وليست هذه النكبة باول ما طرقت سوريا من طوارق الحدثنان ، فقد
 عانت هذه البلاد من الشقاء في تاريخها ما لم تقاها بلاد اخرى . وما اكثر
 انويلات في البلاد الذي يعرضها لموقعها لاطماع الفاتحين ويجعلها طريقاً
 للامم يمر فيها كل مكتسح عاتٍ
 أول ما يذكره التاريخ من نكبات سوريا مجاعات واوبئة ذكرتها التوراة
 نوردها على سبيل الفائدة .

في ايام ابراهيم حدث جوع في الارض اضطره اليه، مغادرتها الى مصر
 (سفر التكوين ص ١٢ و ١٤) وتلاه جوع آخر بعد برهة على ايام ابنه اسحق
 ثم في اواخر ايام يعقوب حدثت المجاعة الشهيرة التي عمت الارض سبع سنوات .
 وبسببها انتقل الاسرائيليون من فلسطين الى مصر اتجاعاً للقتل . وكان
 يوسف الصديق اذ ذلك قيساً على اهرام فرعون التي احتاط لاملائها بعد ان
 رأى فرعون في حلمه المشهور سبع بقرات سان يأكلهن سبع عجاف . ثم
 حدث جوع شديد بعد صعود الاسرائيليين من مصر واكتساحهم فلسطين على
 ايام حكم القضاة وظل عشر سنوات (سفر راعوث) . ثم نلته مجاعة في ايام
 الملك داود ظلت ثلاث سنوات (صموئيل ص ٢١ عد ١) وقد جاء ايضاً
 في التوراة ان الله ساط على بني اسرائيل في ايام الملك داود بن يسى وباء
 لم يطل غير ثلاثة ايام ، فمات به سبعون الفاً في نهار واحد . وعقب ذلك
 بعد مرور زمن جوع عم البلاد في ايام ملك اسرائيل آخاب دام ثلاث
 سنوات لانجاس المطر . وهو الجوع الذي اضطر النبي ايليا التشبي لسببه ان
 يذهب الى صرفة التي لصيدون فصادف ارملة لها ملء كف من الدقيق وقليل
 من الزيت ، وهي تفتش عن عودين لتعمل قرصاً لها ولابنها ليا كلاً ويموتان ،
 فاتخذها بمعجبة ذكرتها التوراة . وحدث بعد ذلك جوع تنبأ عنه الشح
 تدميد ايليا دام سبع سنوات .

وتتابعت بعد ذلك في اوقات متباينة من التاريخ مجاعات مثل هذه
 ذكرها المؤرخون ولم تكن نعم البلاد بل انحصرت في بعض اقسامها مسبية

عن قحطٍ موقت ، او جروب اهلية ، او حصارات محلية . ولم يك ما يستحق الذكر حتى حدث عام بوس شديد الوطأة في صدر التاريخ الاسلامي عقيب افتتاح العرب سوريا بقليل على ايام عمر بن الخطاب . وهو العام الثامن عشر للهجرة ويدعوه مؤرخو الاسلام « عام الرمادة » لان الريح كانت تسي تراباً كالرمادة . واصاب الناس فيه مجاعة شديدة وجذب وقحط . واشتد الجوع في كل مكان وفي العجاز خصوصاً حتى جعلت الوحش تأوي الى الانس ، وحتى صار الرجل يذبح الشاة فلا يجد فيها بعد سلخها سوى عظم أحمر . وزاد هول المجاعة طاعون شديد اشتدت وطأته في سوريا وهو المعروف في التاريخ باسم « طاعون عمواس » فكاد الناس ان يتفانوا منه ومكث شهوراً فيات فيه من جيوش المسلمين المرابطين في سوريا ٢٥ الفاً . وفي جملتهم القائد الشهير ابو عبيدة بن الجراح الذي كان أمير البلاد وفي السنة ٢٩١ للهجرة اصاب سوريا طاعون شديد في خلافة عبد الملك بن مروان الاموي فكاد ان يفي اهلها . وبسببه لم تستطع الجيوش ان تتحرك لغزو الروم .

وفي السنة ٩٨١ للهجرة على ايام سليمان بن عبد الملك الاموي حدثت زلازل كثيرة متتابعة سببت اضراراً جسيمة وأذى للناس ودامت ستة اشهر وفي سنة ١٠٨٥ . في خلافة هشام الاموي كان بسوريا طاعون شديد وفي سنة ٢٤٢ للهجرة (٨٥٢ م) في خلافة المتوكل العباسي حدثت زلازل هائلة تهدمت المباني وهلك تحت الانقاض خلق كثير ورافقها خسف

واصوات منكورة .

وفي سنة ٢٤٥ هـ (٨٦٠ م) زلزل شمالي سوريا فسقط في انطاكية وحدها
الف وخمسمائة دار وسقط من سورها نيف وتسعون برجاً وتقطع الجبل
الافرع فسقط قسم منه في البحر وغارت انهار برمتها فلم يعلم اين ذهبت
وأصيبت اللاذقية اكثر من سواها فلم يسلم من اهلها الا اليسير وهلك
اهل جبلة .

وفي سنة ٢٦٦ هـ (٨٨٠ م) على ايام المعتد العباسي انتاب البلاد قحطاً
شديد فعمّ الغلاء سوريا وغيرها من الاقطار المجاورة

وفي سنة ٤٢٣ هـ (١٠٣٢ م) كان قحط عام وتبعه وباء عظيم قاصيت
سوريا وجاراتها العراق ومصر والموصل وامتد الويل الى خراسان فروي ان
اربعين الف ميت دفنوا في مدينة اصبهان العجمية وحدها في بضعة ايام ولم
تخلُ دار في الاقطار المذكورة من مصيبة ، لعموم المصائب وكثرة الموت

وفي عام ٤٢٥ هـ (١٠٣٤ م) انتابت الزلازل بلاد الشام فانهدم ثلث المنازل
في اكثر البلدان وعملك خلق كثير تحت الردم . وزاد في الطين بلة انتشار
داء الخوانيق فمات به كثيرون حتى كانت النار يسد بابها لموت اهلها

وفي سنة ٤٤٠ هـ (١٠٤٨ م) كان وباء وجوع في سوريا

وفي سنة ٤٥٥ هـ (١٠٦٣ م) كانت زلزلة عظيمة خربت كثيراً من البلاد

وسقط فيها سور طرابلس .

وفي سنة ٤٦٩ هـ (١٠٧٦ م) كان وباء عظيم يجارف . وكان الموت

كثيراً حتى بقي كثير من الغلات في الحقول ليس لها من يعملها .
وفي سنة ٤٧٩ و ٤٨٤ و ٤٨٧ هـ (١٠٨٦ و ١٠٩١ و ١٠٩٤ م) أعادت الزلازل
الكرة على سوريا فهدمت فيها بلداناً كثيرة ففارق الناس مساكنهم إلى الصحراء
هرباً ومن لم يهرب هلك تحت الردم .
وفي سنة ٥١٨ هـ (١١١٤ م) حدثت مجاعة سببها انقطاع الأمطار
بقلت الأقوات وغلّت الأسعار غلاءً فاحشاً . ودام ذلك سنة
وفي سنتي ٥٢٢ و ٥٢٣ هـ (١١٢٧ و ١١٢٨ م) حدثت زلازل عظيمة
متوالية فخرت بلاداً جمّة ولاسيما حلب ، فان أهلها فارقوا بيوتهم وخرجوا
إلى الصحراء . وعدوا ليلة واحدة جاءتهم الزلزلة فيها ثمانين مرة
وفي سنة ٥٥٢ هـ (١١٥٧ م) كان بسوريا زلازل كثيرة قوية فدمرت
بلاداً كثيرة وهلك فيها ما لا يحصى من البشر . وخرت بلداناً بالمرّة منها
حماء وحمص وشيزر وكفرطاب والمرة واقامية وحصن الأكراد وعرقبة
والملاذقية وطرابلس وانطاكية . ومما يروى عن كثرة القتلى في هذه الزلزلة
ان معلماً بمدينة حماه فارق مكتبه لهمة عرضت له فجاوت الزلزلة فخرت
المدينة وسقط المكتب على الصبيان سبيهم . قال المعلم ، فلم يأت احد
يسأل عن صبي له في المكتب .
وفي سنة ٥٦٥ هـ (١١٧٠ م) عادت الزلازل فنكبت سوريا وتتابعت
بهول شديد لم ير الناس مثله وخرت مدينة حلب كلها .
وفي سنة ٥٧٤ هـ (١١٧٩ م) عمّ التحط البلاد فحدث غلاء فاحش وجوع

شديد . وتمذرت الأقوات فأكل الناس الميتة وما شايها ودام ذلك سنة
ونيف ثم تبعه وباء عام كثر فيه الموت . وكان مرض الناس واحداً وهو
المرسام . فلم يكن من يدفن الموتى .

وفي سنتي ٤٩٦ و ٦٠٠ هـ (١٢٠٠ و ١٢٠٤ م) عاودت الزلازل سورياً
فأثرت في البلاد أثراً قبيحاً ولا سيما بدمشق وحمص وحماء ومدن الساحل
وفي سنة ١٤٠٠ م حدثت اعظم نكبة اجتاحت سوريا حتى هذه الأيام
وهي شبيهة بالنكبة الحالية من حيث تعدد أهوالها وشدتها وطأتها . فقد
اجتمعت فيها ويلات الحرب والتحط والجراد والجوع والوباء . وابتدأت
بقدم تيمورلنك التتري وجيوشه الى البلاد فكان ذلك مقدمة البلاء لان
هذا الاعرج الحديدي كان ذا قلب لا يعرف الشفقة فخرّب المدن واحرق
الماهد العلمية والمساجد وأسر الوجها والادباء ومشاهير رجال الصناعة
فساقهم معه فخلت سوريا منهم . وامنت جيوشه في البلاد قتلاً ونهباً
وارتكبت الفظائع وقتلت الشيوخ والاطفال وسبت النساء . وقبل ان يرحل
تيمورلنك عن سوريا لمقاتلة السلطان بايزيد التركي جاء الجراد فأتلف
النبات والاشجار فحصلت مجاعة هائلة وجاء الوباء ثالثه الاثافي فاجتمعت
الضربات المريعة في وقت واحد .

وفي سنة ١٥٠٣ م على ايام الملك قانصوه النوري قبيل فتح السلطان سليم
التركي سوريا جاء سيل عظيم دام ٢٧ يوماً فكانت منه مزار لا تحصى .
وطغى نهر العاصي وبردى وانهر لبنان فاتلفت واهلكت وسببت للساكن

اضراراً فاشحة .

وفي سنة ١٥٧٩ م على ايام السلطان مراد حدث جوع سببه القحط وتبعه طاعون مات به كثيرون .

وحدثت في اوقات مختلفة نكبات طميفة غير التي ذكرناها من زلازل واروبة محلية وضيقات ناتجة عن حروب لم تخل منها سوريا جيلاً . هذا ملخص ما استطعنا ابراهه من نكبات سوريا . واكثرها ناتج عن قحط او وباء ولكنها كلها اذا جمعت الى بعضها ليست لتذكر بازاء النكبة المائلة المخيبة الان فوق تلك الربوع القديمة .

اسباب النكبة الحالية في سوريا

نستطيع ان نعزو النكبة الحاضرة في سوريا الى سبب واحد هو الحرب . ولكن بلاداً كثيرة اصيبت بهذه الحرب الزبون وذاتت بلاياها من موت وهلاك وتدمير ومع ذلك ترى تأثير النكبة فيها قليلاً يكاد لا يظهر ، وذلك لاستعدادها وتأهبها لمقاتلة الشدة ولتعاونها على مدافعة النكبة . اما سوريا فهي ، وان كانت حتى الان متكبته عن ميادين القتال ، فقد ذاقت اشد البلايا وتجرت كأس النكبة دفعة واحدة فلم يماثلها في ذلك قطر من الاقطار .

للاسباب الآتية -

اولاً . لما زجت تركيا نفسها في غمار هذه الحرب لم تكن جيوشها مستكلمة المعدات من حيث الأكسية والاقوات فحجزت السلطة العسكرية كل ما توصلت اليه في سوريا من الاقوات والأشياء اللازمة للجنود فلم

يبقى في البلاد ما يكفي لحاجاتها ، فقلت سائر الاشياء الضرورية كمواد الوقود
والمحاصيل الزراعية والزيت والمواسي والزاد والاقمشة ، وارتفعت اسعارها
ارتفاعاً فاحشاً .

ثانياً . ساءت الحكومة للخدمة في الجيش كل الصالحين للعمل من شبان
وكهول ، ولم تترك في البلاد غير الشيوخ والاطفال والنساء ، فلم يبق ما
يكفي لاستغلال الارض وتعاطي الصنائع . واصبحت العائلات خلواً ممن
يعيلها . فاشتدت فاقتها .

ثالثاً . انقطعت الواردات التي كانت تأتي من اوربا وغيرها ولم تك
البلاد تستغني عنها . وقد سبب ذلك النطاق الذي ضربه الاحلاف حول
سوريا بحراً . فقل البترول والسكر والاقمشة وما شاكل وعز على الاغنياء
اقتناءها فكيف بالفقراء .

رابعاً . اضطر كثير من الشبان الذين هم ركن عائلتهم الوحيد
ان يفتدوا انفسهم من الجندية مراراً فكانوا يدفعون آخر بارة عندهم وربما رهنوا
بيوتهم او استدانوا من المرابين ليتمكنوا من البقاء في بيوتهم لاجالة اهلهم
فقل بذلك المال . واصبح الواحد منهم يهلك نفسه في العمل ليتمكن من
اسكات المرابي وسد حاجات العائلة الضرورية

خامساً . زحف الجراد على قسم كبير من البلاد وكانت المزروعات في
الحقول فالتهمها وراح بأخر امل كان الاهلون يعملون انفسهم به

سادساً . نشأت الاوبئة المتعددة في جهات القطر كله فاضافت الى المجموع

والخوف شدة . وحبت الناس عن الاهتمام باعمالهم
 ساباً . وقفت حركة الاشغال في انبلاذ فانقطعت اسباب الرزق عن
 اتاجر والعمال واصبح اكثر العمال بطلين وليس لهم مورد ينفقون منه على
 عيالهم ولا من يقرضهم في هذه الازمة الشديدة فزاد ذلك في الطين بلة
 فهذه الاسباب وسواها من الامور السياسية اوسعت المجال للنكبة في
 ربوع سوريا فقامى الناس المضى ولا سيما في الشتاء الماضي اذ بات اكثرهم
 بلا وقود ، ولا طعام سوى اردأ اصناف الدقيق فكان المنكوبون يموتون
 - بعضهم بالجوع ، وبعض بالحسنى التيفوئيدية وبعض بالدور - نظاريا ، وغير
 ذلك من الوبئة ، حتى قيل ان ثمانين الفاً ماتوا في جبل لبنان وحده

﴿ اخبار النكبة ﴾

وردت اخبار النكبة الى المهجر اولاً من مصر الى الجرائد السورية في
 نيويورك فلم يصدقها كثيرون وعدوها مبالغة مقصودة لما رب سياسية .
 ولكن الامر ما عتم ان ثبت عقيب ورود رسائل خصوصية الى افراد من
 المهاجرين تم عن وجود النكبة بصراحة رغم تحفظ المراقبين . وازداد الخبر
 وثوقاً عندما عاد الى نيويورك بعض المرسلين الاميركيين من سوريا ، فرووا
 ما شاهدوه بام عينهم مما لم يترك مجالاً للشك وزاد الخبر تأكيداً ما ترويه
 جرائد سوريا من وقت الى آخر بتحفظ كلي عن اخبار الوباء والجوع ،
 فيرى القارىء بين سطورها المختصرة اخباراً ضافية هائلة عن ويلات مريعة
 قد انعس في غمارها الشعب السوري ففاقت نكبته كل نكبة

وقد آثرنا ان ننقل بعض ما نعتقد به الصحة من مرويات الجرائد في وصف النكبة . وفي ما نقله اخبار تصور فظائع النكبة باجلى بيان وتوضيح حتى في الجلاميد .

﴿ وصف شاهد عيان ﴾

جاء في جريدة « المقطم » تعريب رسالة ظهرت في جريدة التيمس لسيدة اميركية معروفة موثوق بكلامها وقد قدمت من سوريا مؤخراً ، تنسب منها ما يأتي -

سوريا تتضور جوعاً

ان سوريا تتضور جوعاً . وليس قولي هذا مجازاً ولكنه حقيقة لا مراء فيها فقد غادرتها منذ شهرين وكنا ستة اثنين من ارمينيا واربعة من سوريا . وخمسة اميركيون والسادس يوناني . فاجتزنا جميع بلدان اوربا المحاربة ورأينا فيها مناظر احب شيء الينا ان نعرض عن اذهاننا ولكن كل ما شاهدناه فيها لا يقاس في فظائعه بسوء الحال في تركيا الاسيوية . وان قلبي ليعجز عن وصف تأثير الحرب في تلك البلاد فأقتصر على بعض الامور الاجمالية مما وقع تحت نظري في العامين الماضيين .

بدء تأثير الحرب

لم تكد تضطرم الحرب حتى حصرت الحكومة الفرنسية الشواطىء حصراً بحرياً شديداً فاتقطع اتصال سوريا بسواها واضطرت الى الاعتماد على مواردها . ولا يخفى ان محاصيل البلاد تكفي لاطعام اهليها واضعافهم .

قومي العام الاول لم تشعر البلاد بحاجة الى الطعام ولكن نقصتها البضائع
والمصنوعات والاطعمة الاوروبية . نعم ان كثيرين عانوا مرارة القاعة بسبب
تعطل الاعمال ولكن الاموال الطائلة التي تبرعت بها جمعية الصليب الاحمر
الاميركية مكنتنا من توزيع الدقيق على المحتاجين اسبوعياً وتشغيل عدد
كبير من الرجال والنساء بلا انقطاع فكان الرجال ينظفون الشوارع ويرمون
الطرق ويجهنون بذلك للبلدية ما تستطيع القيام به من هذا القبيل والنساء
يعملن في خياطة الثياب والتطريز والدتلا (الارلند والكروش) فانقضى
الشتاء (شتاء ١٩١٥) بصعوبة ولكن من غير ان يبلغ الضيق حد اليأس وكنا
نتنظر الفرج بحلول فصل الربيع .

غزوة الجراد

ولكن الربيع بدلاً من ان يأتينا بالفرج جاءنا بالجراد . ان ذكرى الجراد
منقوشة في قلبي فلا استطع ان اذكره او اصف فتكته من غير ان يعتريني
قرف شديد .

لما جاء الجراد لم نعبأ به في اول الامر بل اخذنا نتأمله كما يتأمل المرء
المنظر الجديد غير المألوف ورأينا الناس حولنا يقصدون الحقول والبساتين
وهم يقرعون الصفائح ويصيحون ليخيفوا الجراد ويسمنعوه من النزول الى
الارض ورعي ما فيها وكانت ارجاله خفيفة في اول الامر في كل قدم مربعة
نحو ٢٠ جراداً وهو في طبقتين .

وفي الصباح التالي خرج الجراد من مبيته قبلنا وصرنا نرى ارجاله كأنها

تقطع مرصوفة رصاً وقد أكلت اغصان الشجر في الجنائن وزاعم الأزهار
وظلت الحال على هذا المتوال اسبوعاً ثم استقر الجراد على الرمال الواقعة بين
شاطئ البحر واسناد الجبل المحصبة فقطى تلك البقاع وكساها ثوباً اسود
ضارباً الى الصفرة . وهناك باض الجراد ومات .

الممة والياس

فأدر كنا الان ان الضربة القادمة ستكون شراً من الاولى واخرجت جمعية
الصليب الاحمر مئات من الرجال والصبيان للبحث عن البيض واستخراجه
فجاءوا بألوف الاكياس المملوءة به واتلقوها ولكن على غير جدوى فان
البيض الباقي نشف بعد مدة وحيزة واخذ الدبى (صغار الجراد) يزحف كأنه
خيوش من النمل الكبير الاسود واجتاز الرمال الى الحقول فلم يترك حقلاً
الا بعد ما ألهم كل خضراء فيه من عشب وانفال وشجر حتى لحاء الاشجار
وكان الجراد اذا دنا من قرية استقبله اهلها بمنتهى العزيمة لان الناس صسموا
على افراغ منتهى الجهد في سمون مزرعاتهم التي هي طعام عائلاتهم في فصل
الشتاء فكانوا يقيمون السياجات من الشوك والعليق حول الحقول ولكن
الجراد لم يعبأ بهذه الاحتياطات بل واصل الزحف وهو ينهم الطري ويتضم
اليابس فاذا لم تجد الجراد امامها ما تأكله أكلت جارتها .

ولما بلغ الدبى سياجات الشوك التي تقدم ذكرها تساقها بعضه واحترقها
الباقي فاجتمع الناس واضرموا النار في تلك السياجات فحرقت ملايين من
الجراد ولكن هذه الملايين تلاها الوف الملايين وهي تزحف فوق النار والرماد

والجراد المحروق فاذا احترقت هي عقبها غيرها فاقام الناس سياجات جديدة
واضرموا النار فيها واخيراً نفذ الشوك والعليق ولم يبق الجراد
ألبهام المحاصيل

ولما انقضى شهر تموز كان الجراد قد بلغ اشداه وصار يطير بعد ما ألتهم
كل محصول الزيتون وكل محصول العنب في لبنان وجنوب سوريا واكل
جانباً من محصول القمح في شمال سوريا ولكنه لم يأتهم كله وفنك بالثمر
ولكن الرجاء ظل معقوداً بسلامة بعضه .

هذه كانت حالة البلاد لما حلّ فصل الحريف سنة ١٩١٥

المجاعة

ولما حلّ فصل الربيع اخذنا نسمع بخوادث الموت جوعاً فكان الناس
ينطرحون في الشوارع وهم غائبون عن الصواب لشدة الجوع فينقلون الى
المستشفيات وكنا نرى النساء والاولاد منطرحين في الطرق وقد اغمضوا
عيونهم وعلت صفرة الموت وجوههم وصار الناس يبحثون في زباله البيوت
عن قشور البرتقال والعظام القديمة وغيرها من الفضلات وبأكلون ما
يجدون منها بمنتهى الشراهة وكانت النساء تخرج الى الخلاء للبحث عن الاعشاب
التي توء كل . وتوالت اخبار السوء في المدينة وروي ان كاهن احدى قرى
الجبل نزل الى قرية اخرى طالباً من رجالها المعونة على دفن الموتى المنطرحين
في شوارع قريته وبلغنا من مصدر جدير بالثقة انهم عثروا على اناس في جرود
كسروا ناكلوا اللحم البشر !

بعض ما ترويه صحف البلاد

ويظهر ان عول النكبة تطرق الى قلوب محرري الصحف الوطنية في سوريا فالأنا فلهم يستطيعوا ان يكتبوا رغم تكتمهم الشديد امام ضغط المراقب الحربي فكتبوا ما يدرك منه القارىء بعد مطالعته مبلغ النويل
 قالت جريدة المقتبس الدمشقية

« فهم من بعض الأطباء الرسميين في دمشق ان الحالة الصحية تحسنت الى درجة بتنا نوء مل معها زوال المرض (الوباء) عما قريب بحول الله تعالى»
 وقال ايضاً - « مما يدخل الوهن الى القلوب وتآباه الطباع البشرية
 رأى بعض المرضى ملتقين في الشوارع العامة وعليه نلت انظار عطوفة
 رئيس البلدية ورجال الصحة للتشديد على المهملين في هذا الامر

ذكرت هذا جريدة البلاغ البيروتية وعلقت عليه « قلنا هذا الكلام لايقاظ رجال بلدتنا ايضاً الى الاحتمام بثل هذه الامور فان بلدتنا لم تخل من مثل هؤلاء المرضى الملتقين في السبيل »

وقالت الجريدة نفسها « الامراض كثيرة والوباء منتشر في بعض البلاد وهو سريع السريان والعدوى فاذا لم نحتط له تمام التحوط فلا يلبث ان يند علينا بخيله ورجله »

ونشرت احدى تلك الجرائد قصيدة لشاعر وطني يمتدح بها القائد العام في سوريا في شهر رمضان ويذكر فيها ما اتسبب قومه من الجوع والشدة وبعض بالمتحكرين والظالمين بشجاعة وقد اخترنا منها نشر الآيات

تخبرت لي شهر الصيام ذريعة
 تمنيت لو صح التفاهم بيننا
 وتسمع دقات القلوب قريبة
 وتشهد حولك العفاة ، فإنت
 عيال قيام عند بابك خشع
 أزل حيف أرباب الغنى واحتكارهم
 وأدرك بنمائك البلاد فقد مشى
 إذا صمت فأرحم من يصوم حياته
 بيت الدجى طاور ويسحر طاورياً
 فلم أر قبلاً مجرمًا نال رفعة
 ولا قاتلاً أخوانه عن طماعة
 ولم أر كالسفاح يقرع صدره
 وإكليل فخر باهر اللعنان
 يسجده التاريخ كل أوان
 إذا قام يدعو ، وهو أكبر جان

وهذه الايات بما تكنه وتنم عنه كافية لرواية كل حديث النكبة ، ولا سيما اذا علم القارىء انها صادرة عن قلم شاعر لا يستطيع ان يقول كل ما يعلمه وسيف النقمة وصلت فوق رأسه .

ولو شئنا ان نفيض في وصف النكبة فننشر بعض ما تذكره الرسائل الواردة على المهاجرين من ذويهم في الوطن وما تصرخ به من امر النكبة لضافت بنا المجلدات . ولذلك تقتصر على القليل الذي اوردناه من اقوال

الجرائد ، ففيه بيان كافٍ

﴿ السعي في الهجرة ﴾

هاجت هذه الاخبار المحزنة اشجان المهاجرين السوريين النائين عن اهلهم البائسين . وصور شعورهم لهم قومهم يقتل شبانهم و كهولهم في ساحة الوغى ويموت شيوخهم ونساءهم واطفالهم بالجوع والابوة السارية ، فلم يستطيعوا ان ينظروا الى مصاب اخوانهم ساكتين فيها لمساعدتهم لينقذوا البقية الباقية من الامة المنكوبة التي احتملت مصابها بالصبر . فألقوا في القاهرة ونيويورك لجتين رئيسيتين تفرع منهما في اكثر بلدان المهاجر لجانا محلية لجمع الاحسان من السوريين وسواهم . واثارت اخبار النكبة حنان الامير كيين فألقوا في نيويورك لجنة لاعانة السوريين والارمن فاظهرت من السعي الحميد ما يوجب على كل سوري صادق الوطنية ان يقر بفضل اميركا التي لعبت دور ملاك الرحمة في هذه الايام العظيمة فاتقنته ، واثارت بحنانها الاماكن التي سرت فيها غياهب البؤس .

﴿ منشور الرئيس ولسن ﴾

ومن المآثر الحميدة التي يسطرها التاريخ بالشكر والاعجاب ان وودرو ولسن رئيس الولايات المتحدة نظر بعين الشفقة الى مصائب الشعب السوري والارمني فاصدر منشوراً يعين به يومين يبيع بهما جمع المال من الامير كيين في كل أنحاء الولايات المتحدة لاعانة السوريين والارمن المتكوبين وهذا تعريبه ملخصاً -

« لما كان قد بلغني قرار مجلس الشيوخ الصادر في ٧ تموز سنة ١٩١٦: ومفاده - تقرر بداعي ما يقاسيه الشعب السوري من العذابات ان يعين رئيس الولايات المتحدة يوماً تحرك فيه عواطف الاميركيين وتُعطى لهم فرصة لاطهار هذه العواطف والتبرع لاعانة الشعب السوري ولما كان قد صدر قرار آخر من مجلس النواب في ١٨ تموز سنة ١٩١٦ ومواده - بالنظر الى الشقاء والتعاسة والصعوبات التي يعانيها الشعب الارمني يتمس من رئيس الولايات المتحدة ان يعين يوماً يتسنى فيه للمواطنين من الولايات المتحدة اظهار عواطفهم بالتبرع لاعانة الارمن في البلاد المحاربة ولما كنت واثقاً بان شعب الولايات المتحدة سينهض لمساعدة هذه الشعوب المنكوبة بالحرب والجوع والامراض

فانا ، وودرو ولسن ، رئيس الولايات المتحدة ، بناء على طلب مجلس الشيوخ وأتماس مجلس النواب اعين يوم السبت الواقع في ٢١ تشرين اول ويوم الاحد الواقع في ٢٢ منه سنة ١٩١٦ ليجود فيها شعب الولايات المتحدة بتبرعاته اعانة للسوريين والارمن المنكوبين

صدر في مدينة واشنطن في هذا اليوم الواقع في ٣١ آب سنة ١٩١٦
مسيحية الموافقة لسنة ١٤١١ من استقلال الولايات المتحدة »

(المختتم)

الامضاء - وودرو ولسن الرئيس

واختتاماً لامر الرئيس وزّع مجمع الكنائس العام في اميركا اذاعة على

عنوم الكهنة الاميركيين يحثهم فيها على جمع المال في الكنائس لاعانة اخوانهم
السوريين والارمن نهار الاحد ، أي اليوم الثاني من اليومين اللذين عينهما
الرئيس .

﴿ يوم صوم ﴾

ونشرت اللجنة السورية النيويوركية اذاعة عامة على صفحات الجرائد
العربية تدعو بها السوريين الى صوم يوم حثاداً على الالوف الذين ماتوا من
اخوانهم ، ولينزقوا متى صاموا طعم الجوع ولو قليلاً فيشاركوا فيه بعض
المشاركة اخوانهم الجامعين الباقين في قيد الحياة . وتقرر ان يكون ذلك
نهار الجمعة السابق يومي الاعانة المعينين من قبل الرئيس
نصام كثيرون من السوريين في هذا اليوم . وكرسود للتأمل بعالة
وطنهم البائس . وقدموا ما توفر لديهم من المصاريف في ذلك النهار الى
اللجنة السورية تزكية عن نفوسهم فكان لعلمهم صدى بليغ وتأثير عميق
في قلوب الناس ، ولا سيما الاجانب

﴿ يوما الاعانة ﴾

ولما جاء يوما الاعانة المخصصان من قبل الرئيس خرج السوريون والارمن
رجالاً ونساء من قبل لجانهم يستندون أكف المحسنين على زوايا الشوارع
وفي محطات القطارات واماكن العمل فجمعوا مقداراً كبيراً من المال
يشهد بسخاء الاميركيين وحنانهم . وقد أظهرت السيدات السوريات في
مدينة نيويورك وسواها غير شديدة وتضحية واقدماً في هذين اليومين

اذ برزن من خدورهن وخرجن بجمعن الحسنات في الشوارع والمغازن
ومكاتب التجار غير مباليات بما يعترضهن من تعب وثبيط عزائم . فبالت
اقلام الكتاب تخط لهن الثناء . وفاضت قرائع الشعراء اعترافاً لهن بالجميل
فقال ايليا ابوماضي -

لله ، ما أحلى ، وما أجمل
ان اني تقتل اجفانها
فاقبلت تبذل أموالها
في الله مسماها واحسانها
ان تنصر المسكين ذات الحلى
أبت على البائس أن يقتلا
وتأل الثري ان يبذلا
فكذا القيد والا فلا
وقال رشيد أيوب

غداً تشرق الشمس فوق الربوع
وتظهر كيف بلاد الدموع
هناك بعيداً وراء البحور
وترنو الى صاحبات الشعور
وتجناز ارض البكا والمويل
تخبى اللواقى صنن الجميل
عيون تشق اديم الاثير
بجزن مذهب وقلب كبير
هناك في الشرق حيث النواح
سيظهر لطف كشمس الصباح
هناك ستزهو بعيد القبول
وانبت ما بين تلك الطلول
وعجت بلبان وقت السحر
على من تواروا بذلك الحفر
فقولي سلام والى سلام



ملائك الرحمة والحنان

وقال فريد غصن ..

من اجل سوريا الثقية اسرعت
تبغي التسول بكرة واصيلا
ومشت في الشمس المنيرة في الضحى
للخير ان الخير كان دليلا
هي عادة زان الوفاء جمالها
لا تبتغي من فعلها التبجيلا
لم تنس في ارض المهاجر موطناً
عبث الزمان به فصار ذليلا
قالت لاهل الغرب ان بلادنا
امت بها الدور الحسان طولاً
فاعطوا بلادنا الخير كي تحيا به
فهي التي اعطتكم الانجيلا

﴿نجاح اللجان﴾

أكد العارفون ان سعي اللجان السورية في مصر واميركا سيسفر عن جمع مبلغ لا يقل عن نصف مليون دولار . وما أقل هذه القيمة امام عظمة الثكبة ! اما اللجنة الاميركية فقد تجمع بضعة ملايين ، ولكنها ستخص ارمينيا بقسم كبير منها . وهي الان مهتمة بيسط يد حنانها سريعاً لتدرك سوريا قبل ان يهبط الشتاء . فيزيد بويلاته بوس المنكوبين ، وآخذة في تجهيز باخرة

مملوءة بالاقوات والثياب لتسير الى بيروت فتصل قبيل عيد الميلاد وهناك يتعاون الصليب والملاسل الاحمران على توزيع ما فيها وتخفيف وطأة الوباء عن الالوف .

﴿ من حمى الرغد الى مملكة الامم ﴾

بينما العناصر المتطاحنة والمجابهة المتعاركة تدك معاقل المدينة وتهدم صروح الانسانية نرى يد الرحمة تمتد من وراء البحار لتواسي الحزين وتخفف عن المدنف وتشبع الجائع وتريح العاجز ونكسو العاري . فدعوا السياسة واطماعها والحرب ووقائعها وهلموا بنا نصفي الى انين البائسين وصراخ المتكويين . وتعالوا ننضم الى جيش الرحمة لننقذ بقية امتنا . نحن لا نستطيع ان نعيد القتلى الى الحياة ولا ان نعوض ارواح المالكين في النكبة ، ولكننا نستطيع ان نوقف تيار البؤس - نستطيع ان نكسو العاري وننظم الجائع ونداوي المريض .

فالى الاعانة ، يا اهل المروءة ! اسرعوا قبل ان يفوت الاجل ويصبح شعبنا رفات بائية ، فننظر اليها الشعوب باستهزاء . قائلة - « هوذا بقايا قوم هلكتم . امتمهم لانهم لم يمدوا اليها يد الاسعاف » ان الجوع والوباء والخوف تعصده قومكم وانتم آمنون . ان الوفاً من الايدي الضئيلة تمتد اليكم متضرعة مستعطية . ومن منكم اذا سألته ابنه خبزاً يعطيه حجراً ؟
وقاكم الله من أن تذوقوا طعم الجوع المدقع . فقد قال ماثيو ارنولد -
« ان الذين يهلكون بالجوع يموتون قيراطاً فقيراطاً »